أفحكم الجاهلية يبغون؟!

الحمد لله رب العالمين، وأشـهد أن لا إلـه إلا اللـه وحـده لا شريك له، إله الأولين والآخرين ورب الناس أجمعين، مالك الملك، الواحد الأحد الفرد الصمد، الـذي لـم يلـد ولـم يولـد ولم يكن له كفواً أح د، وأش هد أن محم داً عب ده ورس وله، صلوات الله وسلامه عليه، بلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده، وترك أمته على المحجة البيضـاء ليلهـا كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك [1].

أيها المسلمون:

إن القرآن الكريم قد حسم الحكم في قضية التشريع، ولم يجعل مكاناً للمماحكة في هذا الحكـم الجـازم ولا لمحاولـة التهرب والتحايل والتحريف؛ فشريعة الله هـ ي الـ تي يجـ ب أن تُحكَم في هذه الأرض، وهي التي يجب أن يتحاكم إليهـا الناس، وهي التي يجب أن يقضي بها الأنبياء ومِـنْ بعـدهم الحكام، وهذا هو مفرق الطرق بين الإيمان والكفـر، وبيـن الشرع والهدى، فلا توسُّط في هذا الأمر ولا هدنة ولا صلح, فالمؤمنون هم الذين يحكمون بمـا أنـزل اللـه، لا يُحَرِّفـون منه حرف اً، ولا يبـ دلون منـ ه شـ يئاً والكـ افرون والظـ المون والفاسقون هم الذين لا يحكمون بما أنزل الله؛ لأنه إما أن يكون الحكام قـ ائمين علـ ى شـ ريعة اللـ ه كاملـ ة فهـ م فـ ي نطاق الإيمان، وإما أن يكونوا قائمين علـى شـريعة أخـرى ممَّـا لـم يـأذن بـه اللـه فهـم الكـافرون والظـالمون والفاسقون، والناس كل النـ اس إمـ ا أن يقبلـ وا حكـ م اللـ ه وقضاءه في أمورهم فهم المؤمنون، وإلا فما هم بمؤمنين ولا وسـط بيـن هـذا الطريـق وذاك، ولا حجـة ولا معـذرة: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَـ نْ أَحْسَـ نُ مِـ نَ اللَّـ هِ حُكْمًـ ا لِّقَـ وْمٍ يُوقِنُونَ} فشريعة الله التي جاء بها القـ رآن الكريـ م جـ اءت لتكون هي المرجع النهائي للبشرية جمعاء، ولتقيم المنهج الـذي تقـوم عليـه الحيـاة البشـرية فـي شـتى شـعبها ونشـاطاتها، لقـد جـاءت ليُحكـم بهـا، لا لتعـرف وتـدرس، وتتحول إلى ثقافة في الكتب تُسَوَّدُ بها القراطيس؛ يقـول الله تعالى: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْـنَ يَـدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّـ هُ وَلاَ تَتَّبِـ عْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ} (48) سورة المائدة.

إن هذه القضية يجب أن تكون واضحة، وحاسمة في ضمير المسلم ويجب التسليم التام بمقتضى هـذه الحقيقـة، وإلا لا يستقم للمسلم ميزان، ولا يتضح له منهج ولن يخطو خطوة واحدة في الطريق الصحيح.

عباد الله:

إن القـرآن الكريـم لـم يُعـطَ المكانـة السـامية أو المنزلـة المرموقة بنحو كافٍ بين أنصاره وأتباعه في هذه الأيام، فهـو ليـس للتـبرك، ولا للتلاوة علـى أرواح الأمـوات، ومناسبات التعازي، أو التلاوة اليومية من حفظته وعشاقه فقط، وإنما هو دستور للعمل والتطبيق، وتصحيح للعقيـدة والشريعة ومناهج السلوك والأخلاق، فإن الله تعالى أوجب بنص قـاطع علـى عبـاده أن يتـدبروا آيـاته، ويعملـوا بنحـو شامل لا يقبل التجزئة بشرائعه وأحكامه، كما قال سبحانه: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ} (29) سورة ص.

إنه لو أتيح لكثير من الحكام حظ من التعقل والإنصاف ولو تجردوا ساعة من شهواتهم؛ لاستمدوا التشريع مـن معيـن القـرآن، دسـتور الحيـاة الأقـوم، ولحكمـوه فـي جميـع شؤونهم، بإيمان واثق يملأ النفوس، والقلـوب والمشـاعر والأفئدة، وينير جوانب الحياة كلها بضياءُ الإسلام ونور القرآن؛ هنالك تزدهر الحياة وتسعد الرعية ويستشعر العطشى إلى حياة هانئة سعيدة بأن القرآن هو طريق السعادة وسبيل النجاة؛ وذلك مـن خلال الاسـتجابة لأوامـر اللـه تعـالى والالـتزام الـدقيق بتطـبيق شـرعته وتحكيـم شريعته في واقع البشرية جمعاء.[2]

عباد الله: إذا علم أن التحاكم إلى شرع اللـه مـن مقتضـى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمـداً عبـده ورسـوله، فـإن التحـاكم إلـى الطـواغيت والرؤسـاء والعرافيـن ونحـوهم ينافي الإيمان بالله -عز وجـل- وهـو كفـر وظلـم وفسـق، يقول الله تعالى: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِـكَ هُـمُ الْكَافِرُونَ} (44) سورة المائدة. ويقول: {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (45) سورة المائدة. ويقول -جل وعلا-: {وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (47) سورة المائدة.

وبين تعالى أن الحكم بغير ما أنزل الله حكم الجاهلين، وأن الإعراض عن حكم الله تعالى سبب لحلـول عقـابه، وبأسـه الذي لا يـرد عـن القـوم الظـالمين، يقـول سـبحانه: {وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّـهُ أَن يُصِـيبَهُم بِبَعْـضِ ذُنُـوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيـرًا مِّـنَ النَّـاسِ لَفَاسِقُونَ* أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} (49-50) سورة المائدة[3].

لقد أمر الله -جل شأنه- جميع الناس أن يرد كـل منهـم مـا لديه من أمانة إلى أهـلها, ثم أوصى سبحانه من وُكـلَ إليـه الحكمُ في خصومة أو الفصل بيـن النـاس فـي أمـرٍ مَّا أن يحكم بينهم بالعدل سواء كان مُحكّماً، أو وَلِيَّ أمر عام أو خاص، ولا عدل إلا ما جاء في كتاب الله أو سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فذلك الهدى والنور والصراط المستقيم.

يقول الله تعالى: {إِنَّ اللّهَ يَـأْمُرُكُمْ أَن تُـؤدُّواْ الأَمَانَـاتِ إِلَـى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّـهَ نِعِمَّـا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} (58-59) سورة النساء.

ثم أثنى سبحانه على ما أسداه إلى عباده من الموعظة إغراءً لهم بالقيام بحقها، والوقوف عند حدودها, وختم الآية بالثناء على نفسه بما هو أهله من كمال السمع والبصر؛ ترغيباً في امتثال أمره رجاء ثوابه، وتحذيراً من مخالفة شرعه خوفاً من عقابه, ثـم أمـر تعـالى المـؤمنين بطاعته وطاعة رسوله -صلى الله عليه وسلم- مطلقاً؛ لأن الوحي كله حق، وأمر بطاعة أولي الأمر فيما وضح أمره من المعروف؛ لأنه لا طاعة لمخلـوق فـي معصـية الخـالق؛ كما دلت عليه النصوص الثابتة الصريحة في ذلك, فإذا اشتبه الأمر ووقع النـزاع وجـب الرجـوع فـي بيـان الحـق، والفصـل فيمـا اختلـف فيـه إلـى الكتـاب والسـنة؛ لقـوله سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُـواْ الرَّسُـولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ} (59) سـورة

النساء. وقوله: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيـهِ مِ ن شَ يْءٍ فَحُكْمُ هُ إِلَ ى اللَّهِ} (10) سورة الشورى [4].
اللهم حكم فينا كتابك وسنة نبيك صلى اللـه عليـه وسـلم، واجعل ولايتنا فيم ن خاف ك واتق اك واتب ع رض اك. اللهم اغفر وارحم وأنت خير الراحمين..

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين, والعاقبـة للمتقيـن, ولا عـدوان إلا على الظالمين, وأشهد أن لا إلـه إلا اللـه ولـي الصـالحين, وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمـة للعـالمين, اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصـحابه أجمعيـن, وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين, أما بعد:
مما تقدم يت بين ل ك -أيه ا المس لم- أن تحكي م ش رع الل ه والتحـاكم إليـه ممـا أوجبـه اللـه ورسـوله، وأنـه مقتضـى العبودية لله والش هادة بالرس الة لن بيه محم د -ص لى الل ه عليه وسلم- وأن الإعراض عن ذلـك أو شـيء منـه مـوجب لعذاب الله وعقابه، وهذا الأمر سواء بالنسبة لما تعامل بـه الدولة رعيتها، أو ما ينبغي أن تدين بـه جماعـة المسـلمين في كل مكان وزمان، وفي حال الاختلاف والتنازع الخـاص والعـام، سـواء كـان بيـن دولـة وأخـرى، أو بيـن جماعـة وجماعة، أو بين مسلم وآخر، الحكم فـي ذلـك كلـه سـواء، فالله سبحانه له الخلق والأمـر، وهـو أحكـم الحـاكمين، ولا إيمان لمن اعتقد أن أحكام الناس وآراءهم خيـر مـن حكـم الله ورسوله، أو تماثله وتشـابهه، أو أجـاز أن يحـل محلهـا الأحكام الوضعية والأنظمة البشرية، وإن كان معتقـدا بـأن أحكـام اللـه خيـر وأكمـل وأعـدل.. فـالواجب علـى عامـة المسلمين وأمرائهم وحكامهم، وأهل الحل والعقد فيهـم: أن يتقوا الله -عـز وجـل- ويحكمـوا شـريعته فـي بلـدانهم وسائر شـئونهم، وأن يق وا أنفس هم ومـن تحـت ولايتهـ م عذاب الله في الـدنيا والآخـرة، وأن يعتـبروا بمـا حـل فـي البلدان التي أعرضت عن حكم الله، وسارت في ركاب مـن قلـد الغربييـن، واتبـع طريقتهـم، مـن الاختلاف والتفـرق وضروب الفتن، وقلة الخيرات، وكون بعضهم يقتل بعضـاً، ولا يزال الأمر عندهم في شدة، ولن تصلح أحوالهم ويرفع تسلط الأعداء عليهم سياسياً وفكرياً إلا إذا عادوا إلى اللـه س بحانه، وس لكوا س بيله المس تقيم الـ ذي رض يه لعب اده، وأمرهم به ووع دهم ب ه جن ات النعي م، وص دق س بحانه إذ يقول: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا* قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى} (124-126) سورة طه.

ولا أعظم من الضنك الذي عاقب الله به من عصاه، ولم يستجب لأوامره، فاستبدل أحكام المخلوق الضعيف، بأحكام الله رب العالمين، وما أسفه رأي من لديه كلام الله تعالى، لينطق بالحق ويفصل في الأمور، ويبين الطريق ويهدي الضال، ثم ينبذه ليأخذ بدلا منه أقوال رجل من الناس، أو نظام دولة من الدول، ألم يعلم هؤلاء أنهم خسروا الدنيا والآخرة فلم يحصلوا الفلاح والسعادة في الدنيا، ولم يسلموا من عقاب الله وعذابه يوم القيامة..!؟[5].

اللهم إنا نسألك بأنا نشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد, يا منان يا بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم أن تنصر الإسلام والمسلمين وتخذل الشرك والمشركين وتدمر أعداء الدين اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك ويؤمر فيه بالمعروف وينهى عن المنكر إنك على كل شيء قدير, اللهم حقق النفع وسدد الخطى وعلّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً, والعاقبة للمتقين.[6]

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

[1] وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه لـ(ابن باز).

[2] كتاب اتخاذ القرآن الكريم أساسا لشؤون الحياة والحكم في المملكة لـ(أ. د صالح بن غانم السدلان).

[3] وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه لت(ابن باز).

[4] مجلة البيان العدد 142 ص 47 ذو القعدة 1420هـ.

[5] وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه لـ(ابن باز).

[6] كتاب اتخاذ القرآن الكريم أساساً لشؤون الحياة والحكم في المملكة لـ(أ. د صالح بن غانم السدلان).